بسم الله الرحمن الرحيم

عودة إلى السنة

أبحاث جمعها وعلّق عليها
علي حسن عبد الحميد

طبعة جديدة، منقّحة ومزيدة

المكتبة الإسلامية
دار ابن حزم

الطبعة الثانية

١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

رقم الإيداع لدى مديرية المكتبات والوثائق الوطنية

١٩٨٤/٨/٣٧١

المكتبة الإسلامية

ص.ب (١١٣) الجبيهة - هاتف: ٨٤٢٨٨٧ - عمان - الأردن

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٨٣١٣٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

العِلْمُ مِيرَاثُ النَّبِيِّ كَذَا أَتَى
فِي النَّصِّ وَالعُلَمَاءُ هُمْ وُرَّاثُهُ
مَا وَرَّثَ المُخْتَارُ غَيْرَ حَدِيثِهِ
فِينَا فَذَاكَ مَتَاعُهُ وَأَثَاثُهُ
فَلَنَا الحَدِيثُ وِرَاثَةٌ نَبَوِيَّةٌ
وَلِكُلِّ مُحْدِثٍ بِدْعَةٍ إِحْدَاثُهُ

الإمام محمد بن إبراهيم الوزير
المتوفى سنة (٨٤٠ هـ) رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة الطبعة الثانية

الحمدُ للَّهِ حقَّ حَمْدِهِ، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّه وَعَبْدِهِ، وعلى آلهِ وصَحْبِهِ وَوَفْدِهِ، أمَّا بَعْدُ:

فهذه هي الطبعةُ الثانيةُ مِن رسالتي «عودةً إلى السُّنَّة» نُقَدِّمها إلى الإخوة القُرّاءِ من طُلّاب العلمِ بعد نحو عشر سنواتٍ من طبعتها الأولى التي نفِدت في فترةٍ قصيرةٍ بحمد اللَّهِ ومِنّتِهِ.

ولقد حالت دون تَجْديد طَبْعها ظروفٌ عدّة ومشاغلُ مُتعدّدة، إلى أنْ أذِنَ اللَّهُ سبحانه بذلك، وهو - جلَّ شأنُهُ - أهْلٌ لكُلِّ حَمْدٍ وتَمْجيدٍ وتَعْظِيمٍ.

وبالرُّغم مِن ذلك كُلِّه فلم أَسْتطِعْ أن أَضَعَ في هذه الطبعة ـ الثانية ـ كُلَّ ما عندي من فوائدَ وزوائدَ، وإنّما اكتفيتُ بشيءٍ قليلٍ ممّا تيسَّر إضافَتُهُ.

وعلى كُلٍّ؛ فاللَّهَ أسألُ النَّفْعَ والسَّداد، والهداية والرَّشاد.

وآخِرُ دعوانا أَنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين.

وكَتَبَ

أبو الحارث الحلبيُّ الأثريُّ

الزرقاء ـ الأردن

يوم الأربعاء: ١٨ ـ شعبان ـ ١٤١٣ هـ

مقدمة المؤلف

إنَّ الحمـدَ لله نحمـدُهُ ونستعينُـه ونستغفـرُه، ونعوذ بالله مِن شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَن يهده الله فلاَ مضل له، ومَن يضلل فـلا هاديَ له.

وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه.

أما بعد:

فـإنه لا يُمـاري أحدٌ في سـوءِ حالِ المسلمينَ اليومَ، وانحرافِهم عن دينهم، وشدَّةِ غُربـةِ الإسلامِ

بَيْنَهم، وبخاصة وقد مَدَّتِ البِدَعُ[1] أعْناقَها، ولَبَّسَ عُلماءُ السوءِ على العوامِّ حقائقَ دينهم، وسَكَتَ كثيرٌ ممن يعلمونَ الحقَّ عن إبلاغِهِ الخَلْقَ، وانهمكَ الناسُ في الدُّنيا، واتخذوا دينَهم لَهْواً ولَعِباً، وتَكَالَبَ[2] الأعداءُ في داخِلِ بلادِ المسلمين وخارِجِها لِيُجْهِزُوا[3] على هذا الدِّين العظيم، ولكنْ

(١) مفردُها بِدْعَةٌ، وهي في اللغة بمعنى الشيء المخترع على غير مثالٍ سابق، كما في «لسان العرب» (٧/٧) و«القاموس المحيط» (٣/٣، ٤) ومعناها في الاصطلاح: الطريقة المخترعة في الدين التي تشابه الشرعية، يُقصد بها التقرب إلى الله، ولم يقم على صحتها دليلٌ شرعيٌّ صحيح أصلاً أو وصفاً، وانظر «الاعتصام» (٣٧/١) للإمام الشاطبي، والبِدَعُ في الدين كلُّها ضلالٌ كما صحَّ الأثرُ عن النبي ﷺ وصحبه الكِرام.
وانظر بيانَ ذلك في «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢٧٥ - ٢٧٧) لشيخ الإسلام ابن تيمية.
وفي كتابي «علم أُصول البدع» تفصيلٌ مطوّلٌ لذلك كلِّه.

(٢) أي: تجاهروا بالعداوة.

(٣) لِيُسرعوا في القَضَاءِ عليه ومحو أثره.

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [التوبة: ٣٢].

وقد أخبرَ رسولُ الله ﷺ عن غربة الإسلام التي ألَمَّتْ بِنَا، وذلك في قوله: «بدأ الإسلامُ غريباً وسيعودُ غَريباً كما بَدأ فَطُوبى للغرباء»[1].

وقال ﷺ: «لَتُنْقَضَنَّ عُرى الإسلامِ عُروةً عروةً، فكُلَّما انتقضتْ عُروةٌ، تَشَبَّثَ الناسُ بالتي تليها، فأولُهنَّ نقضاً، الحُكْمُ[2]، وآخرهنَّ الصلاةُ»[3].

(١) رواه مسلم (١٤٥) عن أبي هريرة.

(٢) أي تحكيمُ الشريعةِ في المحاكم والأقضية وشؤون المسلمين، وانظر شرحَ الحديث في «فيض القدير» (٢٦٣/٥).

(٣) أخرجه أحمد (٢٥١/٥) وابن حبان (٦٧١٥) والحاكم (٩٢/٤) عن أبي أسامة بسند جيّد.

وقال ﷺ: «لا يأتي عليكم عامٌ إلا والذي بعدَه شرٌّ منه، حتى تلقَوا ربَّكم»(١).

ومهما بَلَغَتْ غربةُ الإسلامِ في زمانِنا، فنحنُ على يقين أن الله مُظْهِرٌ دينَهُ، ومُنجِزٌ وعدَهُ الذي وَعَدَ في قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

وقد قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورى: ٢٨].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

---

(١) رواه البخاري (١٣/١٧) عن أنس.

واعلم أخي المسلم - فقَّهني الله وإياك - أنَّ ربَّنا جلَّ وعلا لم يَتْرُكْنا هَمَلاً، بل تَفَضَّلَ علينا بهذا القرآنِ المجيدِ، وضَمِنَ لنا حِفْظَهُ من التبديلِ والتحريفِ، وقال في شأنه: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

فما المَخْرَجُ مما نحنُ فيه من فتنةٍ وضَياعٍ وفُرقةٍ وانحرافٍ عن الإسلام!؟.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

وقال عزَّ وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

وقال تبارك وتعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ

﴿ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٧].

فإنْ نحن صَدَقْنا في إيماننا ورجوعِنا إلى الله عَزَّ شأنُهُ، فلا بُدَّ ـ أيضاً ـ أن نعرفَ ما يخالفُ دينَ الله تعالى مِن سائر أحوالنـا، ونجتهدَ في تغييـرِهِ إلى ما يُرضيه سبحانه وتعالى عَنَّا.

وهناك حقائق لا بُدَّ أنْ نَفهَمَها:

* أَنَّ السلوكَ مـرآةُ الفَهْمِ، فكُلَّما صَفَتْ هـذه المرآةُ من الشوائبِ والكَدَرِ وَتَرَبَّتِ الأجيالُ عليها، كان العلاجُ أنجعَ والشفاءُ أقربَ.

* أن العلمَ هو الفرقانُ الذي يَميزُ الخبيثَ من الطَّيِّب، الحقَّ مِنَ الباطل، والداعيةُ الجاهلُ ضَالٌّ في نفسِهِ، مُضِلٌّ لغيره، ضررُهُ أكثرُ من نفعِهِ، وما يُفْسِدُه أعظمُ مِمّا يُصْلِحُهُ، فالعلمُ شرطٌ في الداعية.

* أَنَّ العلمَ النـافعَ هـو الـذي يُصَحِّحُ الفِكْرَ ويصقلُه، والفكرُ إذا صَحَّ ظَهَرَ في السلوكِ القويم، والعلم والتعليم.

* أن أصحابَ الدَّعواتِ الإسلاميةِ لَنْ يَسْتَطِيعُوا القيـامَ على أَقـدامِهِمْ إلا إذا تسلَّحـوا بـالإخـلاصِ والعلمِ والعمـلِ والالتزامِ الفعليِّ بمـا يُمليهِ عليهم هـذا العلمُ من تغييـرٍ في أفـرادِ دَعـواتهم ونُـظُمِهـا وأفكارِها، ثم الـدعوةُ إليـه في ضوء «فقـه الدعـوة» المستنبط من الأدلةِ والقواعدِ الشرعيةِ، لا مِنْ مُجَرَّدِ التجارِبِ الشَّخْصِيَّةِ والنَّزَعاتِ العقلية.

* أَنَّ تـوحيدَ الفَهْم هـو أَوَّلُ خـطواتِ تـوحيـد الصَّفِّ المُسلم وأنفعُها، وَلَنْ يُتَصَوَّرَ فِكْـرٌ وفَهْمٌ أَصَحُّ[1] وأَقْوَمُ من فَهْمِ الصَّحابة رضي الله عَنْهم، وَمَن تَبِعَهُم بـإحسانٍ مِنْ أَئمَّـةِ الدِّينِ الـذي حَمَلَهُ إلينـا الثقـاتُ العدولُ، وحُفِظَ في دَواوينِ الإسلامِ حُجَّـةً لله على خَلْقِهِ، وما زَالَ بين أيدينا محفـوظاً لِنَنْهَـلَ مِنْ مَعينِهِ الصَّافي متى شئْنا، وَلَنْ يَصْلحَ آخِرُ هذه الأمةِ إلا بما صَلَحَ به أَوَّلُها.

---

(١) انظر رسالتي «نحو منهج السَّلف».

* أنه متى تجانَسَتِ الأفكارُ والغاياتُ والسُّبُل، وُجِدَت ثمرةُ المحبةِ والمودةِ التي هي أعظمُ أسبابِ وِحْدَةِ الصَّف.

إذا عرفتَ ذلك ـ أخي المسلم ـ وأيقنتَ به، فاعْلَمْ أنَّ هذه الرسالةَ التي بين يَدَيْكَ هي مُحاولةٌ عملية من كاتِبها وناشِرِها والمُقدِّم لها لتوحيد الصفِّ الإسلامي على منهج شاملٍ وثيقٍ، كخطوةٍ أُولى لتوحيدِ الفِكْرِ الإسلاميِّ على فَهْمِ السَّلَفِ الصَّالحِ للكتابِ والسُّنَّةِ(١).

ونواةُ هذهِ الرسالةِ كلمةٌ للإمامِ الشوكانيِّ(٢)

(١) بتصرف من «منهج الدعوة الإسلامية» (٣ ـ ٧) نشر دار ابن تيمية.

(٢) هو محمد بن علي بن محمد بن عبدالله، فقيه مجتهد من كبار علماء صنعاء اليمنِ، وُلد سنة (١١٧٣ هـ)، وصنَّف مصنفاتٍ عِدَّةً طبع عددٌ منها، توفي رحمه الله سنة (١٢٥٠ هـ)، ترجمته في «التاج المكلل» (٣٠٥ ـ ٣١٧) و«الرسالة المستطرفة» (١١٤) و«هدية العارفين» (٢/٣٦٥) و«الأعلام» (٦/٢٩٨).

رحمه الله، موجودةٌ بِطُولها في كتابه المستطاب «البدرِ الطَّالِع بمحاسِنِ مَن بَعْدِ القَرْنِ السَّابع»(١)، في أثناءِ ترجمته(٢) للإمام العلامة الكبير محمد بن إبراهيم الوزير(٣)، وكنتُ قد طالعتها وأَنْعَمْتُ النظرَ فيها، وكشفتُ عن خوافيها، فرأيتُ كلامَه هناكَ مِنْهاجاً مُيَسَّراً لَطيفاً شبهَ متكاملٍ لِمَا يَجِبُ عَلى طالبِ العلمِ

(١) ويقع في مجلدين، وقد طُبع في مصر سنة ١٣٤٨ هـ.

(٢) في (٢/٨١ ـ ٨٩) منه، وقد ذكرها استطراداً.

(٣) اليماني، ولد سنة (٧٧٥ هـ)، له مؤلفات عدة، أشهرها وأعظمها «العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم» وهو كتابٌ عظيم في تقرير مسائل الاجتهاد والتقليد، وتطرق فيه لمسائلَ كثيرةٍ في العقيدة أيضاً، أكْثَرَ الشوكانيُّ في «البدر» من مدحه والثناء عليه، توفي رحمه الله سنة (٨٤٠ هـ) ترجمته في «التاج المكلل» (٣٤٠) و«أبجد العلوم» (٣/١٩٠) و«الضوء اللامع» (٦/٢٧٢) و«فهرس الفهارس» (٢/١١٢٤).
وقد طُبع في تسع مجلدات.

معرفتُهُ، وما هو موقِفُهُ في خِضَمِّ الاجتهاد والتقليد؟ والعامِّي، ماذا يفعل؟ وما هي العلومُ التي يجبُ على المُتَّبِعِ والمجتهدِ تعلُّمُها؟، وغير ذلك من مباحث مفيدة تُقَوِّي صِلَةَ المسلم بكتاب ربِّه سبحانه، وسنةِ نبيِّه ﷺ(١).

وجمعني مجلسٌ - ذاتَ مرةٍ - مَعَ بعضِ إخواني من طلبةِ العلمِ، فَخَطَر لي أَنْ أَقْرَأَ على هؤلاءِ الجالسين هذِهِ القطعةَ الطَّيِّبَةَ من كلام الإمام الشوكانيِّ رحمه الله، وفعلتُ فَنَالَتْ إعجابَ الحاضرين كُلِّهم،

---

(١) ولستُ الأوَّلَ في معرفة تلك الكلمة المشار إليها، فقد تنبه لهذه القطعة الرائعة من كلام الإمام الشوكاني رحمه الله غيرُ واحدٍ من أهل العلم، ونوَّهوا بذكرها، وأشادوا بها، منهم الأستاذ عبدالله محمد الحبشي في تقديمه لكتاب «أدب الطلب - طبع اليمن» (ص ١٢) والدكتور محمد حسن بن أحمد الغماري في كتابه «الإمام الشوكاني مفسراً» (ص ٣٠٥) وغيرهما.

وأَجْمعوا أمرَهم بينهم على طِبَاعَتِها - بعد التحقيق والتعليق - وتوزيعها على طلبة العلم، ونشرها بين المسلمين جميعاً، حتى يعمَّ نفعُها، ويستفيدَ منها طلبةُ العلم مِنَ أبناءِ هذه الأمَّة.

فشحذتُ الهِمَّةَ لتحقيق هذه المهمَّةِ، سائلاً الله العليَّ الأعلى أن يُوفِّقَني في عَمَلي، ويُسَدِّدَ خطاي.

وقد علقتُ عليها تعليقاتٍ كثيرةً، مختصرةً أحياناً، وموسَّعةً أحياناً أخرى؛ وخلاصةُ هذه التعليقات إما توضيحٌ لمبهم، وإما ترجمةٌ لِعَلَمٍ من الأعلام، أو ما يشبه ذلك، وقد أطلتُ التعليقاتِ أحياناً، كي يكونَ القارىءُ عارفاً بكثيرٍ من الاصطلاحاتِ التي يستعمِلُها العلماء في كتبهم.

ثم إنني أضفتُ عَقِيبَ رسالة الشوكاني، مباحثَ لا تقل عنها أهمية لطلبة العلم في أيَّامنا هذه، عَلَّهم

يستفيدون منها، وينتفعون بها، وسَمَّيْتُ هذه المباحث كُلَّها «عَوْدَةٌ إلى السُّنَّة»[١].

وأخيراً:

فإنني أقدمُ هذه الرسالة آملاً أنْ يكون لها صدىً وأثرٌ في صفوف الدعاة إلى الله تعالى، لِنَحْمِلَ ـ بِثَبَاتٍ ـ أمانةَ ديننا، ونفوزَ ـ بإذن الله ـ بِجَنَّةِ رَبِّنَا، وقد قال جَلَّ وعلا: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

وقد تفضَّل أستاذُنا الشيخُ أبو مالك محمد إبراهيم شقرة حفظه الله تعالى بمراجعة الكتاب والتقديم له، فجزاه الله خيراً.

---

(١) ولي سَلَفٌ في هذه التسمية، فقد نشر أستاذنا الألباني حفظه الله عدة مقالاتٍ هذا عنوانها في مجلة «المسلمون» الدمشقية ـ قبل نحو ربع قَرْنٍ ـ؛ فاستأذنته في أن أقتبس عنوانَ هذه المقالات لما فيه من حث وبشرى وتفاؤل، فأذن لي، جزاه الله خيراً.

والحمدُ لله ربِّ العالمينَ، وصلى الله وسَلَّم وبارك على رسوله وآله وصحبه أجمعينَ.

وكتب

أبو الحارث عليّ بن حسن بن علي بن عبدالحميد

الحلبيُّ الأثريُّ

عفا الله عنه

بمنّه



– ١ –

مَعَ الإمَامِ الشَّوْكَانِيِّ

رَحِمَهُ الله

بسم الله الرحمن الرحيم

[أحمدك لا أحصي ثناءً عَليك، أنتَ كما أثْنَيتَ على نفسكَ، وأُصَلِّي وأُسَلِّمُ على رسولِكَ وآلِهِ، وأسألُك التثبيت والهداية، وأعوذُ بكَ مِنَ الخذلان والغواية](١).

وبعد:

فلا رَيْبَ(٢) أنَّ عُلماءَ...............

(١) من مقدمة الشوكاني رحمه الله لكتابهِ «أدب الطلب ومنتهى الأدب».

(٢) ذكر الشوكانيُّ رحمه الله هذا الكلام بَعْد أن أورد الكلام المقتضب الذي ذكره العلماء الذين ترجموا للإمام محمد بن إبراهيم الوزير، ثم علل قصورهم في ترجمته بأنهم لم يعرفوا ابنَ الوزير معرفة واضحة حقيقية، ولم =

الطوائفِ[١] لا يُكثرون العنايةَ بأهلِ هذه الدِّيارِ[٢]، لاعتقادِهِم في الزَّيْدِيَّةِ[٣]، ما لا مُقتضى له إلا مُجَرَّد التقليد[٤] لمن لم يَطَّلِعْ على الأحوالِ، فإنَّ في ديارِ

= يقفوا على مصنفاته الفذّة، بل قال: «ولو لقيه الحافظ ابن حجر بعد أن تبحَّر في العلوم لأطال عنان قلمه في الثناء عليه، فإنه يثني على من هو دونه بمراحل ولعلها لم تبلغ أخبارُه إليه».

(١) مفردها طائفة، وهي الجماعة من الناس يجمعهم مذهبٌ أو رأي يمتازون به، ومرادُ الإمام الشوكاني هنا متبعو المذاهب الأربعة.

(٢) اليمنية.

(٣) نسبة إلى زَيْد بن علي، المتوفى سنة (١٢٢ هـ) ترجمته في «الأعلام» (٣/٥٩)، والزيديةُ ـ على انحرافها ـ من طوائف الشيعة الأقلّ بُعْداً عن أهل السنة، وانظر ـ غير مأمور ـ «الملل والنحل» للشهرستاني (١/٢٠٧ ـ ٢١٠). وفي تمام الكلام إشارةٌ إلى رجوع الشوكانيّ عن الزيديّة.

(٤) يقال: قَلَّدَ فلانٌ فلاناً، أي: اتبعه فيما يقول أو يفعل من غير حُجة ولا دليل. وانظر في حكم التقليد: =

الزيديةِ مِن أئمة الكتابِ والسُّنَّةِ عدداً يُجاوزُ الوَصْفَ، يتقيَّدون بالعمل بنصوص الأدِلَّةِ[١]، ويعتمِدونَ على ما صَحَّ[٢] في الأمهاتِ الحديثيَّةِ[٣]، وما يلتحقُ بها من دواوين[٤] الإسلامِ المُشتملةِ على سُنَّةِ سيد الأنام، ولا يرفعون إلى التقليد رأساً؛ لا

= «الموافقات» (٤/٢٩٣) و«الروض الباسم» (١/٣٦) لابن الوزير و«إرشاد الفحول» (٢٣٤) للشوكاني.

(١) مفردها: دليل، وهو في اللغة بمعنى الهادي إلى أي شيء حسي أو معنوي، وفي الاصطلاح: ما يُستدل بالنظر الصحيح فيه على حكم شرعي. انظر «أصول الفقه» (٢٠) للشيخ عبدالوهاب خلاّف.

(٢) فيه احتراز عمَّا لم يصحَّ، وانظر ما كتبه أستاذنا العلامة الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/١٥ ـ ٣٦) و«صحيح الجامع الصغير» (١/٤٣ ـ ٥١).

(٣) كالصحيحين والسنن الأربعة ومسند الإمام أحمد وغيرها.

(٤) أي: كتب، كمعاجم الطبراني الثلاثة، ومسند البزار، والحميدي، وعَبْد بن حُمَيْد، وأبي يَعْلى، وغير ذلك، وانظر «الرسالة المستطرفة» (١٦ ـ ٢٠) و(٢٥ ـ ٢٩).

خصيصَةٌ خَصَّ الله بها أَهْلَ هذه الديارِ(١) في هذه الأزمنة الأخيرة، ولا توجد في غيرهم إلا نادراً(٢).

ولا رَيْبَ أن في سائرِ الديارِ المِصْرِيَّةِ والشامِيَّةِ مِن العُلماءِ الكبارِ(٣) مَن لا يبلغُ غالبُ أهلِ ديارِنا هذه إلى رُتْبَتِهِ، ولكنهم لا يُفارقونَ التقليدَ الذي هو دأبُ مَن لا يَعْقِلُ حُجَجَ الله ورسولِهِ، وَمَنْ لم يُفارق التقليدَ لم يكنْ لعلمِهِ كثيرُ فائدةٍ، وإنْ وُجِدَ منهم من

---

(١) أي: اليمنية، كما تقدم.

(٢) فقد كانَ التقليدُ شائعاً في غالب البلاد الأخرى، وانظر تفصيل الحالة الدينية في اليمن أيامَ الشوكاني في كتاب «الإمام الشوكاني مفسراً» (٤٠/٥٣) للدكتور محمد حسن بن أحمد الغماري.

(٣) ممن مضى منهم، وليس في عصر الشوكاني رحمه الله، بدليل كلامه في آخر هذه الفقرة عند ذِكْرِهِ ابن تَيْمِيَّةَ رحمه الله.

يعملُ بالأدلةِ ويدعُ التعويلَ(١) على التقليد فهو القليلُ النادرُ كابنِ تَيْمِيَّةَ(٢) وأمثالِهِ.

وإني لأُكْثِرُ التعجبَ من جماعةٍ من أكابِرِ العُلماءِ المتأخرين، الموجودين في القرن الرابع وما بعده، كَيْفَ يقفون على تقليدِ عالِمٍ مِنَ العلماءِ ويُقدِّمونه على كتاب الله وسنةِ رسولِه!! مَعَ كَوْنِهم قد عرفوا من

---

(١) أي: الاعتماد عليه والاتكال.

(٢) هو شيخ الإسلام العالم العلامة أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، النُمَيريُّ الدمشقي، صاحب المصنفات الشهيرة، وأحدُ كبار مجتهدي عصره، توفي رحمه الله سنة (٧٢٨ هـ)، ترجمه الشوكانيُّ في «البدر الطالع» (١/٦٣) وأطال في مدحه والثناء عليه، وله ترجمة في «تذكرة الحفاظ» (٤/١٤٩٦) و«الدرر الكامنة» (١/١٥٤) و«طبقات المفسرين» (١/٤٥) و«النجوم الزاهرة» (٩/٢٧١).
ومن تلاميذه الإمامُ ابن قيم الجوزية والحافظ ابن كثير ومؤرخ الإسلام الذهبي وغيرهم، رحمهم الله.

التزم فيه مصنفوه الصِّحَّةَ[1]. أو جمعوا فيه بين الصحيح وغيره[2]، مع البيان لِمَا هو صحيحٌ، ولِمَا هو حسنٌ، ولما هو ضعيفٌ[3]، وجب العملُ بما كان

= وثانيهما: صحيح الإمام مسلم، وهو مسلم بن الحجاج القُشيري، المتوفى سنة (٢٦١ هـ)، ترجمته في «تهذيب الأسماء واللغات» (٢/ ٨٩)، و«صحيحه» يقع في المرتبة الثانية بعد كتاب الإمام البخاري، وانظر «الحطة في ذكر الصحاح الستة» (٢٢٨ - ٢٣٨). وما أجملَ قولَ الإمام ابنِ الدَّيْبَعِ الشَّيْبَاني المتوفى سنة (٩٤٤ هـ) رحمه الله:

تنازعَ قومٌ في البخاري ومسلم
لديَّ وقالوا: أيُّ ذَيْنِ يُقدَّمُ؟
فقلتُ: لقد فاقَ البخاريُّ صحةً
كما فاقَ في حُسْنِ الصناعة مسْلمُ

والأبيات في «فهرس الفهارس» (١/ ٤١٤).

(١) كابن حِبَّانَ وابن خزيمة وغيرهما، وسيأتي الكلام لى ذلك إن شاء الله.

(٢) كالسنن الأربعة والمسانيد وغيرها.

(٣) قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوي» (١/ ٢٥٠ - ط. الرياض): ولا يجوز أن يُعتمد في الشريعةِ على =

كذلك من السنة، ولا يحلُّ التَّمسك بما يخالفه من الرأي[1] سواءً كان قائلُه واحداً أو جماعةً أو الجمهور[2]، فلم يأت في هذه الشريعة الغرّاء ما يدلّ على وجوبِ التمسُّكِ بالآراء المتجردة عن معارضة الكتاب أو السنة، فكيف بما كان منها كذلك[3]؟! بل

= الأحاديث الضعيفة التي ليست صحيحة ولا حسنة. وانظر «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٦٠٢ - ط. الرسالة) والتعليق عليه.

(١) انظر التعليق المتقدم (ص ٣٢).

(٢) كلمةٌ تتكرر كثيراً في كتب الفقه، والمراد منها: معظمُ الأئمة وغالبهم.

(٣) قال العلامةُ جمال الدين القاسمي في «قواعد الحديث» (٩٤): ومن ثمرات علم الحديث: لزوم قبول الصحيح - وإن لم يعمل به أحد -، قال الإمام الشافعي رحمه الله في «رسالته» الشهيرة: ليس لأحد دون رسولِ الله ﷺ أن يقول إلا بالاستدلال، ولا يقول بما استحسن، فإنَّ القول بما استحسن، شيءٌ يُحْدِثُهُ لا على مثال سابق.

قلت: كذا في «الرسالة» (رقم ٧٠).

وقال الشافعي رحمه الله في «رسالته» (٥٩٨ و ٥٩٩) أيضاً: =

. . . .

= التفريط، والحق الذي لا شك فيه ولا شبهة، أن المجتهد لا بد أن يكون... قلت: ثم أورد كلاماً طويلاً خلاصته:

أ ـ أن يكون عارفاً بما اشتملت عليه مجاميع السنة من أحاديث، ولا يُشترط حفظها، بل يكون متمكناً من استخراجها من مواضعها، وأن يكون ممن له تمييز بين صحيح الحديث وسقيمه.

ب ـ أن يكون عارفاً بمسائل الإجماع، لئلا يفتي بخلافه.

ج ـ أن يكون عارفاً بلسان العرب بحيث يمكنه تفسير ما ورد في الكتاب والسنة؛ ولا يُشترط أن يكون حافظاً لها عن ظهر قلب.

د ـ أن يكون عارفاً بعلم أصول الفقه لأنه عماد الاجتهاد.

هـ ـ أن يكون عارفاً بالناسخ والمنسوخ، بحيث لا يفتي بالحكم المنسوخ.

ثم ذكر خلاف العلماء في اشتراط الدليل العقلي، وأصول الدين وعلم الفروع الفقهية، ثم رجَّح عدم اشتراط الأول أما الثاني فرجَّح معرفة قواعده ومجملاته، دون دقائقه وتفصيلاته، أما الثالث، فلا، لأنه ينتج عن =

مسألة من مسائل الدين، بل يستروي[1] النصوص من أهل الرِّواية[2]، ويتمرن في علم الدراية[3] بأهل الدراية، ويقتصر من كل فن على مقدار الحاجة.

والمقدار الكافي من تلك الفنون، هو ما يَصِلُ[4]

= الاجتهاد، ثم ذكر عِلمَ الجرح والتعديل وضَمَّه إلى الشرط الأول وهو العلم بالسنة.

(١) أي يطلب مَرْوِيَّاتِها.

(٢) قال طاش كبري زادة في «مفتاح السعادة» (٢/ ٦٠): هو علم يبحث عن كيفية اتصال الأحاديث بالرسول عليه الصلاة والسلام من حيث أحوال رواته ضبطاً وعدالة، ومن حيث كيفية السند اتصالاً وانقطاعاً، وغير ذلك من الأحوال التي يعرفها نقاد الأحاديث.
وانظر «أبجد العلوم» (٢/ ٣٠٦).

(٣) قال طاش كُبري زاده في «مفتاح السعادة» (٢/ ١٢٨): هو علم يُبحث فيه عن المعنى المفهوم من ألفاظ الحديث، وعن المعنى المراد منها، مُبتنياً على قواعد اللغة العربية، وضوابط الشريعة. ومطابقاً لأحوال النبي ﷺ.
وانظر «أبجد العلوم» (٢/ ٢٨٥)،

(٤) في الأصل: يتصل، ولعل الصواب ما أثبتُّ.

بـه إلى الفهم والتمييز.

ولا شكَّ أنَّ التبحُّرَ في المعارف، وتطويلَ الباع[1] في أنواعها، هو خيرٌ كُلُّه، لا سيما الاستكثار من علم السُّنةِ وحفظ المتون[2]، ومعرفة أحوال رجال الإسناد[3]، والكشف عن كلام الأئمة في هذا الشأن[4]، فإن ذلك مما يوجبُ تفاوتَ المراتب بين المجتهدين لا أنه يتوقف الاجتهاد عليه.

فإن قلتَ: ربما يقفُ على هذا الكلامِ من هو مُتَهيِّءٌ لطَلَبِ العلم، فلا يدري بما ذاك يشتغل، ولا يعرفُ ما هو الذي إذا اقتصر عليه في كُلِّ فنٍّ بلغ إلى

(١) أي: بلوغ الغاية فيه.

(٢) وهو ما انتهى إليه السندُ من الكلام، والمراد هنا نصوصُ الأحاديث وألفاظها، وانظر «تدريب الراوي» (١/٤٢) للإمام السيوطي.

(٣) ويُقال: السند، وهو سلسلة الرواة الموصلة إلى متن الحديث، وانظر «التعليقات الأثرية على المنظومة البيقونية» (١٠) بقلمي.

(٤) أي: علم الحديث.

رتبة الاجتهاد[1]، والذي يجبُ عليه عنده العمل بالكتاب والسنة.

قلتُ: لا يخفى عليك أنَّ القرائح[2] مختلفةٌ، والفِطَنَ متفاوتةٌ، والأفهامَ متباينةٌ، فَمِنَ الناس مَن يرتفعُ بالقليلِ إلى مرتبةٍ عَلِيَّةٍ، ومِنَ الناس من لا يرتفع من حضيض[3] التقصير بالكثير، وهذا معلومٌ بالوِجْدانِ[4].

ولكني هٰهُنا أذكُرُ ما يكتفي[5] به مَن كان متوسطاً بين الغايتين **فأقول**: يكفيه من علم **مفردات اللغة**، مثل «القاموس»[6]، وليس المرادُ إحاطتَه به حِفظاً،

(١) انظر التعليق المتقدم برقم (ص ٤٧).

(٢) مفردها قريحة، وهي: طبيعة الإنسان التي جُبل عليها.

(٣) نهاية.

(٤) أي: بالإدراك والمعرفة والاطلاع.

(٥) في الأصل: يكفي، ولعل الصواب ما أثبتُّ.

(٦) هو «القاموس المحيط» للعلامة مجد الدين الفيروزآبادي المتوفى سنة (٨١٧ هـ) وهو مطبوع متداول، وانظر لزاماً «كشف الظنون» (٢/١٣٠٦ - ١٣١٠).

بل المرادُ الممارسةُ لمثل هذا الكتاب أو ما يُشابهُهُ، على وجهٍ يهتدي به إلى وِجدانِ ما يطلبُهُ منه عند الحاجة[1].

ويكفيه في **النحو**، مثل: «الكافية»[2] لابن الحاجب[3]، و«الألفية»[4] ....

(١) انظر القسم الثالث من هذه الرسالة.

(٢) وهي مطبوعة معروفة، ذكرها حاجي خليفة في «كشف الظنون» (٢/ ١٣٧٠ - ١٣٧٦)، وقال في صدر كلامه: وهي مختصرة معتبرة، شهرتها مغنية عن التعريف بها.

(٣) هو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، من فقهاء المالكية، ولد في أسنا من صعيد مصر سنة (٥٧٠ هـ)، وتوفي بالاسكندرية سنة (٦٤٦ هـ) له مصنفات عدة، ترجمته في «غاية النهاية» (١/ ٥٠٨) و«النجوم الزاهرة» (٦/ ٢٦٠) و«شذرات الذهب» (٥/ ٢٣٤ - ٢٣٥) و«البداية والنهاية» (١٣/ ١٧٦).

(٤) وهي مطبوعة متداولة، ذكرها حاجي خليفة في «كشف الظنون» (١/ ١٥١ - ١٥٥) وقال ما ملخصه: وهي مقدمة مشهورة في ديار العرب، جَمَعَ فيها مقاصد العربية، وسماها «الخلاصة» وإنما اشتهرت بـ«الألفية» لأنها ألف بيت من الرَّجَز.

وشرح مختصر من شروحها[1].

وفي **الصرف** مثل: «الشافية»[2] وشرح من شروحها المختصرة[3]، مع أنَّ فيها ما لا تدعو إليه حاجةٌ.

وفي **أصول الفقه** مثل: «جمع الجوامع»[4]

(١) فإنَّ لها شروحاً كثيرة، أشهرها في أيامنا هذه: «شرح ابن عقيل»، وهو مطبوعٌ مُتداول.

(٢) وهي لابن الحاجب أيضاً، وقد تقدمت ترجمته، وقد استوعب حاجي خليفة الكلام على الشافية في «كشف الظنون» (٢/ ١٠٢٠ - ١٢٢) فليراجع.

(٣) وقد طُبعت عدة شروح للشافية بمجلدين باسم «مجموعة شروح الشافية» في دار الطباعة العامرة سنة (١٣١٠ هـ)، ثم صُوِّرَ الكتابُ في بيروت حديثاً.

(٤) للإمام تاج الدين عبدالوهاب بن علي بن عبدالوهاب السبكي، وُلد في القاهرة سنة (٧٢٧ هـ)، له مصنفات عِدَّة في الأصول وغيرها، أشهرها «طبقات الشافعية الكبرى» وهو مطبوع، توفي رحمه الله في دمشق سنة (٧٧١ هـ)، =

و «التنقيح»(١) لابن صدر الشريعة(٢)، و «المنار»(٣) للنَّسَفي(٤)، أو «مختصر المنتهى»(٥) لابن الحاجب،

= ترجمته في «الدرر الكامنة» (٢/٤٢٥) و «حسن المحاضرة» (١/٣٢٨) و «النجوم الزاهرة» (١١/١٠٨) و «البدر الطالع» (١/٤١٠).

(١) ذكره حاجي خليفة في «كشف الظنون» (١/٤٩٦ - ٤٩٩).

(٢) هو عبيدالله بن مسعود، من كبار علماء الحنفية، له مصنفاتٌ عِدَّة، اختُلف في تاريخ وفاته على أقوال تُنظر في مصادر ترجمته، «الفوائد البهية» (١٠٩) و «تاج التراجم» (٢٩) و «الأعلام» (٤/١٩٧) و «معجم المؤلفين» (٦/٢٤٦).

(٣) واسمه «منار الأنوار» ذكره حاجي خليفة في «الكشف» (٢/١٨٢٣ - ١٨٢٧).

(٤) هو عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي، له تصانيف عديدة، توفي في بلدة إيذج سنة (٧١٠ هـ)، ترجمته في «الدرر الكامنة» (٢/٢٤٧) و «الفوائد البهية» (١٠١ - ١٠٢) و «مفتاح السعادة» (٢/١٨٨) و «الأعلام» (٤/٦٧).

(٥) «المنتهى» هو: «منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول =

أو «غاية السول»(١) لابن الإمام(٢)، وشرح من شروح هذه المختصرات المذكورة، مع أنَّ فيها جميعها ما لا تدعو إليه حاجةٌ، بل غالبها كذلك، ولا سيما تلك التدقيقاتِ التي في شُروحها وحواشيها، فإنها عن علم الكتاب والسنة بمعزل(٣).

= والجدل» و «مختصره» كلاهما لابن الحاجب، وانظر «مفتاح السعادة» (٢/١٨٦ - ١٨٧) و «كشف الظنون» (٢/١٨٥٣ - ١٨٥٧).

(١) ذكره الشوكاني في «أدب الطلب» (١٣٦ - ١٣٧) ومَدَحه.

(٢) هو الحسين ابن الإمام القاسم بن محمد بن علي، أميرٌ من فقهاء الزيدية في اليمن، توفي بمدينة زَبيد سنة (١٠٥٠ هـ)، ترجمه الشوكاني في «البدر الطالع» (١/٢٢٦) وله ترجمة في «خلاصة الأثر» (٢/١٠٤) و «هدية العارفين» (١/٣٢٢) و «الأعلام» (٢/٢٥٢) وله شرحٌ على «الغاية» اسمه «هداية العقول» مخطوط في جامعة الرياض برقم (١٥٣٩).

(٣) كالمنطق، فقد خلط كثير من الأصوليين المباحثَ المنطقية بالمباحث الأصولية، وانظر ما كتبه الإمام =

ولكنَّـه جاء في المتـأخـرين من اشتغـل بعلومٍ أخرى خارجةٍ عن العلوم الشرعيـة ثم استعملها في العلوم الشرعية، فجاء مَن بعده فـظنَّ أنها من علوم الشـريعة، فَبَعُـدَتْ عليهم المسافـةُ، وطـالت عليهم الطرقُ، فربمـا بات دون المنـزل[1]، ولم يبلغ إلى مقصده، فإن وَصَلَ، [يصلُ] بذهنٍ كليلٍ[2]، وفَهْمٍ عليلٍ، لأنه قـد استفرغ قُـوَّته في مُقَـدِّماتـه، وهذا مُشـاهَدٌ معلومٌ، فـإن غالبَ طلبـةِ علوم الاجتهـاد[3] تنقضي أعمـارُهم في تحقيق الآلات[4] وتـدقيقهـا،

= السيوطي في «تقرير الاستناد في تفسير الاجتهاد» (٥٠) عن المنطق وأثره في الأصول.

(١) أورد الإمامُ هذا الكلامَ موردَ المثل، أي: إن الذي يأتي الشريعة من غير أبوابها قد يخرج عنها، ويبتعد منها.

(٢) ضعيف.

(٣) وهي العربية والسنة والأصول وغيرها، كما تقدم.

(٤) انظر التعليق المتقدم (ص ٣٤).

ومنهم من لا يفتح كتاباً من كتب السُّنَّة، ولا سِفراً[1] من أسفار التفسير.

فحالُ هذا كَحَالِ من حَصَّل الكاغَدَ[2]، والحِبرَ، وبرىٰ أقلامَه، ولاك دواتَه[3]، ولم يكتب حرفاً! فلم يفعـل المقصودَ، إذ لا رَيْبَ أن المقصـود من هـذه الآلاتِ[4] هو الكِتابةُ، كذلك حالُ مَن قَبْلَه.

ومَن عرف ما ذكرناه سابقاً لم يَحْتَـجْ إلى قراءة كُتُب التَّفسير على الشيوخ[5]، لأنَّه قد حَصَّلَ ما يفهم

---

(١) هو الكتاب الكبير.

(٢) كلمـة فارسيـة مُعَرَّبـة، معناهـا: الـورق، وانـظر «تـاج العروس» (٢/٤٨٦).

(٣) أي: يُديُر مِحْبَرته ويهيئها.

(٤) هي هنا بمعنى الوسائل.

(٥) إذ إن القـراءة على الشيـوخ وسيلةٌ للوصـول إلى العلم وليست غايةً بذاتها، فمن وصل إلى العلم بإتقان وَجَوْدَةٍ من طريق الكُتُب والمصنفات فقد أجزاه، وانظر ما سيأتي (ص ٨٧) و«الرد العلمي» (١/٤٦، ٤٧) بقلمي

به الكتابَ العزيزَ، وإذا أَشْكَلَ عليه شيءٌ من مفردات القرآن رجع إلى ما قَدَّمنا من أنَّهُ يكفيه من علم اللغة[1]، وإذا أشكل عليه إعرابٌ[2]، فعنده من علم النحو ما يكفيه، وكذلك إذا كان الإشكال يرجع إلى علمِ الصَّرف.

وإذا وَجَد اختلافاً في تفاسير السَّلَفِ التي يَقِفُ عليها مُطَالِعُهُ، فالقرآنُ عربيٌّ، والمرجعُ لغةُ العرب، فما كان أقربَ إليها، فهو أحقُّ مِمّا كان أبعد، وما كانَ من تفاسير الرسول ﷺ فهو ـ مع كونه شيئاً يسيراً ـ موجودٌ في كتب السُّنَّة[3]، ثم هذا المقدار الذي

(١) ويرجع أيضاً إلى «المفردات» للراغب الأصبهاني، و«تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب» للإمام أبي حَيَّان النحوي، وكلاهما مطبوع، وغيرهما.

(٢) هو تغييرٌ يلحق أواخرَ الكلماتِ العربية من رفعٍ ونصبٍ وجرٍّ وجزمٍ، على ما هو مبيَّنٌ في قواعد النحو.

(٣) انظر «مجموع فتاوى ابن تيمية» (١٣/٣٨٥ ـ ٣٨٩ ـ طبع الرياض).

قدَّمنا، يكفي في معرفة معاني متون الحديث، وأما ما يكفيه في معرفة كونِ الحديث صحيحاً، أو غير صحيح، فقد قَدَّمنا الإشارةَ إلى ذلك[1]، ونزيدُهُ إيضاحاً فنقول:

إذا قال إمامٌ من أئمةِ الحديث المشهورين بالحفظ والعدالة وحُسْنِ المعرفة أنه لم يذكر في كتابه إلا ما كان صحيحاً، وكان مِمَّن مارس هذا الشأنَ ممارسةً كليةً، كصاحبي الصحيحينِ، وبعدَهما صحيحُ ابنِ حِبَّانَ[2]، وصحيحُ ابنِ خُزَيْمةَ[3]،

(١) انظر التعليقات المتقدمة (ص ٤٤).

(٢) وهو المعروف بـ «التقاسيم والأنواع» ولا توجدُ منه نسخة كاملة، أما ترتيبه المسمى بـ «الإحسان» للإمام ابن بلبان الفارسي فقد طُبع ـ قريباً ـ بتمامِهِ، في مؤسّسة الرسالة ـ بيروت.

(٣) كان الظن السائر عند أهل العلم لسنوات ماضية أنه مفقود؛ ثم عثر بعضُ أهلِ العلمِ على قطعة منه في مكتبة أحمد الثالث بإسلامبول في تركيا برقم (٣٤٨) ثم =

ونحوهما[1]، فهذا القولُ مُسوِّغٌ للعمل بما وُجدَ في تلك الكُتُب[2]، ومُوجِبٌ لتقديمه على التقليد، وليسَ هذا من التقليد، لأنه عملٌ بروايةِ الثقةِ، والتقليدُ عملٌ برأيه، وهذا الفرقُ أوضحُ من الشمسِ، وإنِ التبسَ على كثيرٍ من الناسِ [3].

= طبعه الدكتور محمد مصطفى الأعظمي في المكتب الإسلامي ببيروت بمراجعة أستاذنا العلامة الألباني، بأربعة مجلدات متوسطة.

(1) مثل «المستدرك على الصحيحين» للحاكم النيسابوري.

(2) هذا كلامٌ غيرُ دقيق من الإمام رحمه الله، ففي «صحيحي» ابن خزيمة وابن حبان و«المستدرك» أحاديثُ كثيرةٌ قد حكم الأئمة بضعفها ومنهم الشوكاني نفسه رحمه الله، وانظر مقدمة العلامة أحمد شاكر لـ «صحيح ابن حبان» (ص ١٣) ومقدمة الدكتور الأعظمي لِـ «صحيح ابن خزيمة» (ص ٢٢) و«اللآلىء المصنوعة» (١/٢٦) و«الفتاوي» (١/٢٥٥) و«البداية والنهاية» (٢/١٠٠) و«نيل الأوطار» (٢/٣٨١) و«فيض القدير» (١/٣٢٢).

(3) وللأمير الصَّنْعاني زيادةُ بيان لهذه المسألة في كتابه «تيسير النُّقَّاد»، فَلْيُنْظَر.

وأما ما يُدَنْدِنُ حولَه أربابُ علم المعاني والبيان[1] من اشتراط ذلك، وعدم الوقوف على حقيقة معاني الكتاب والسنة بدونه فأقول:

ليس الأمرُ كما قالوا لأنَّ ما تمسُّ الحاجة إليه في معرفة الأحكام الشرعية قد أغنى عنه ما قَدَّمنا ذِكْرَه من اللُّغةِ والنحوِ والصَّرف والأصول، والزائدُ عليه - وإن كان من دقائق العربية وأسرارها ومما له مزيدُ تأثيرٍ في معْرِفَةِ بلاغ الكتاب العزيز - لكنَّ ذلك أمرٌ وراءَ ما نحنُ بصدده.

وربما يقولُ قائلٌ: بأنَّ هذه المقالَةَ مقالةُ مَن لم يعرِفْ ذلك الفنَّ حقَّ معرفته!! وليس الأمرُ كما يقولُ، فإني قد شُغلتُ بُرهةً من العُمر في هذا الفنِّ، فمنه ما

(1) انظر التعليق المتقدم (ص ٣٥)، و«مفتاح السعادة» (١/٢٠٠ - ٢٠١).

قعدتُ فيه بين أيدي الشيوخ، كشرح «التلخيص»[1] المختصر، وحواشيه، وشَرْحِهِ المطوَّلِ، وحَواشيه، وشَرْحِهِ الأطولِ، ومنه ما طالعته مطالعةَ مُتَعَقِّبٍ، وهو ما عدا ما قدَّمتُه، وقد كنتُ أظنُّ في مبادىء طلب هذا الفنِّ ما يظنُّه هذا القائل، ثم قلتُ ما قلتُ عن خبرةٍ وممارسةٍ وتجريبٍ.

والزَّمَخْشَريُّ[2] وأمثاله وإنْ رغبوا في هذا الفن،

---

(١) هو «تلخيص المفتاح في المعاني والبيان» للشيخ الإمام محمد بن عبدالرحمن بن عمر، القزويني، ولد بالموصل سنة (٦٦٦ هـ) وتوفي في دمشق سنة (٧٣٩ هـ)، له ترجمة في «البدر الطالع» (٢/١٨٣) و«النجوم الزاهرة» (٩/٣١٨) و«البداية والنهاية» (١٤/١٨٥) والدرر الكامنة» (٤/٣)، وانظر عن «التلخيص» وشروحه وحواشيه «كشف الظنون» (١/٢١٠) و(١/٤٧٣) و«مفتاح السعادة» (١/٢٠٩).

(٢) هو أبو القاسم، محمود بن عمر بن محمد له مصنفات عديدة، ولد بزَمَخْشَر من قرى خُوارِزْم سنة (٤٦٧)، وتوفي بجرجانية خوارزم سنة (٥٣٨ هـ)، له ترجمة في «النجوم الزاهرة» (٥/٢٧٤) و«المنتظم» (١/١١٢) =

فذلك من حيثُ كونُ له مُدخَلاً في معرفة البلاغة كما قدمنا.

وهذا الجوابُ الذي ذكرتُه هُهُنا، هو الجوابُ عن المُعْتَرِضِ في سائر ما أهملتُه مما يُظَنُّ أنه معتبرٌ في الاجتهاد، ومع ذلك كُلِّه فلسنا إلا بِصَدَدِ بيان القَدْر الذي يجب عنده العملُ بالكتابِ والسُّنَّةِ، وإلا فنحنُ مِمَّنْ يُرَغِّبُ الطَّلَبَةَ في الاستكثارِ من المعارف العلمية على اختلاف أنواعها، كما تَقَدَّمتِ الإشارة إلى ذلك.

ومَنْ رام[1] الوقوفَ على ما يحتاجُ إليه طالبُ العلم من العلمِ على التفصيل والتحقيق، فليرجع إلى الكتابِ الذي جمعته في هذا وَسَمَّيْتُه «أدَب

= و«البداية والنهاية» (١٢/٢١٩) و«لسان الميزان» (٦/٤).

(١) أراد وطلب.

الطَّلَبِ وَمُنْتَهى الأَرَبِ»(١)، فهو كتابٌ لا يستغني عنه طالبُ الحقِّ.

على أني أقولُ بعد هذا:

إنَّ من كان عاطلاً عن العلوم(٢)، الواجبُ عليه أن يسألَ من يثقُ بدينِهِ وعلمِهِ - من نصوصِ الكتاب والسنَّةِ - في الأمور التي تجبُ عليه من عبادةٍ أو معامَلَةٍ، وسائر ما يحدث له، فيقول لمن يسألُه: عَلِّمْني ما ثَبَتَ في ذلك من الأدلة حتى أعملَ به(٣)،

---

(١) وقد طُبع في اليمن، ثم صورته دار الأرقم في مصر، ومنه نسخة مخطوطة في مكتبة صنعاء برقم (٥٤ - مجاميع).
و«الأرب» معناها: البغية والأمنيَّة، وهو من أعظم ما صنَّف الشوكاني، والكتاب بحاجة إلى تحقيقٍ وتعليقٍ، حتى يعمَّ نفعه، وتزداد فائدته.

(٢) أي: من العوامّ.

(٣) وليس كما يفعله عوامُّ هذا الزمان وأنصاف المتعلمين منهم في بحثهم عن رخص المذاهب وزلَّات العلماء، لِتَتَبُّعها والأخذِ بها، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وليس هذا من التقليد في شيء، لأنه لم يسأله عن رَأيه، بل عن روايَتِهِ، ولكنه لمّا كانَ - لِجَهْلِهِ - لا يفطنُ(١) ألفاظَ الكتابِ والسنَّةِ، وَجَبَ عليه أنْ يَسْأَلَ من يفطنُ ذلك، فهو عاملٌ بالكتابِ والسنةِ بواسطةِ المسؤول.

وَمَنْ أَحْرَزَ ما قَدَّمنا مِنَ العلومِ، عَمِلَ بها بلا واسطةٍ في التفهيم(٢)، وهذا يُقال له: مجتهدٌ(٣)، والعاميُّ المعتمِدُ على السؤالِ ليس بمقلِّدٍ ولا مجتهدٍ، بل عاملٌ بدليلٍ بواسطةِ مجتهد يُفَهِّمُه مَعانِيَه، وقد كان غالبُ السَّلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم الذينَ هم خيرُ القرون مِنْ هذه الطبقةِ(٤).

---

(١) يتبين ويعلم.

(٢) أي دون أن يسأل غيره.

(٣) انظر التعليق المتقدم (ص ٤٧).

(٤) قال الشوكاني رحمه الله في «أدب الطلب» (١٣٩) يشرحُ كلاماً له بمعنى ما هنا: فإنهم كانوا يسألون أهلَ العلمِ منهم عن حكم ما يعرضُ لهم مما يحتاجون إليه في =

ولا رَيْبَ أن العلماءَ بالنسبةِ إلى غيرِ العلماءِ أقلُّ [مِنْ] قليل، فَمَنْ قال: إنه لا واسطةَ بين المقلدِ والمجتهد، قلنا له: قد كان غالبُ السَّلَفِ الصَّالحِ ليسوا بمقلدين ولا مجتهدين، أما كونُهم ليسوا بمقلدين، فلأنه لم يُسمع عن أحدٍ مِن مُقَصِّري الصَّحَابة أنه قَلَّد عالماً من علماء الصحابة والمشاهير، بل كان جميع المُقَصِّرين منهم يستروونَ علماءَهم نصوصَ الأدلَّةِ، ويعملونَ بها، وكذلك مَنْ بَعْدَهم من التابعين وتابعيهم، ومَن قال: إن جميعَ الصحابةِ مجتهدون وجميعَ التابعين وتابعيهم [كذلك]، فقد أعظَمَ الفِريةَ، وجاءَ بما لا يقبله عارفٌ.

وهذه المذاهبُ والتقليدات ـ التي معناها قَبول

= معاشهم ومعادِهم فيروون لهم في ذلك ما جاء عن الله تعالى، أو عن رسوله ﷺ، فيعملون بروايتهم لا برأيهم، من دون تقليدٍ ولا التزامِ رأيٍ كما يعرفُ ذلكَ من يعرفه.
قلت: وانظر التعليق المتقدم (ص ٣٨).

قول الغير دون حُجَّةٍ ـ لم تحدثْ إلا بَعْدَ انقراض خير القرون ثم الذين يَلُونَهم ثم الذين يَلُونَهم(١).

وخيرُ الأمورِ السالفاتُ على الهدى
وشرُّ الأمورِ المُحْدَثاتُ البَدائعُ(٢)

وإذ لَمْ يَسَعْ غيْرَ العالمِ في عصور الخَلفِ ما وَسِعَه في عصور السَّلَفِ فلا وَسَّعَ الله عليه.

[والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، وصلى الله على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلَّم](٣).

(١) انظر التعليق المتقدم (ص ٣٤).
(٢) أورده الإمامُ محمد بن إبراهيم الوزير في «العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم» (١/ق ١٣٢ - مخطوطة جامعة أم القرى) وعزاه للإمام ابنِ حَزْم الأندلسيِّ، المتوفى سنة (٤٥٦ هـ)، ترجمته في «مطمح الأنفس» (٢٧٩) و«الصلة البشكوالية» (٢/٣٩٥) «تذكرة الحفاظ» (٣/١١٤٠).
(٣) اقتباس من «الدواء العاجل» للشوكاني (٥١).



— ٢ —

مَعَ العُلَمَاءِ في صَبْرِهِمْ وَجِهَادِهِمْ

اعلم أخي المسلم - فقهني الله وإياك - أنني رغبتُ أن أضيفَ هذا المبحث لهذه الرسالة؛ لمَا فيه من إثارةٍ قوية لمشاعر طالبِ العلم الذي يسعى جاهداً للوصول إلى المقامات العَلِيَّة في العلوم الشرعية.

فهو أخبارٌ حقيقيةٌ، وقصصٌ واقعيةٌ[1]، حدثت مع كثيرٍ من العلماءِ العاملين، والفقهاء الصالحين، فهي - بمجموعها - من خير الوسائل التي تغرسُ الفضائلَ في النفوس وأجودها، وهي - أيضاً - تدفع النفسَ الإنسانية الضعيفة إلى تحمُّل الشدائدِ والمكاره في سبيل الغايات النبيلة، والمقاصد الجليلة، وتبعثُها إلى

---

(١) وهي - وغيرُها - مجموعةٌ عندي في كتابٍ كبيرٍ عنوانه «خفايا البقايا من خبايا الزوايا» يسّر اللّهُ إتمامَه.

التأسِّي بذوي التضحيات لِتَسْمُوَ بها إلى أعلى الدرجات.

* رِحْلَة:

عن مالك عن يحيى بن سعيد عن سَعِيد بن المسيب، قال: كنتُ أرحلُ الأيام والليالِيَ في طلبِ الحديث الواحد. «البداية والنهاية» (٩/١٠).

* تَحْصِيل:

قال ابن المديني: قيل للشعبي: مِن أينَ لك هذا العلمُ كلُّه؟ قال: بنفيِ الاعتماد، والسَّيرْ في البلاد، وصبرٍ كصبرِ الجماد، وبكور كبكور الغراب. «تذكرة الحفاظ» (١/٨١ - ٨٤).

* تَثَبُّت:

قال أبو العالِية: كنا نسمعُ الرواية عن أصحاب رسولِ الله ﷺ ونحن بالبصرة، فما نرضى حتى نركبَ إلى المدينةِ فنسمعها من أفواههم. «الكفاية في علم الرواية» (٤٠٣).

* إِيْثار:

قال الحافظ أبو إسحاق الحَبَّال: كنتُ يوماً عند أبي نصرِ السِّجْزِيِّ، فَدُقَّ البابُ، فقمتُ ففتحتهُ، فدخلتِ امرأةٌ وأخرجتْ كيساً فيه ألفُ دينارٍ، فَوَضَعَتْهُ بين يدي الشيخِ، وقالت: أنفقها كما ترى. قال: ما المقصودُ؟ قالت: تتزوَّجني، ولا حاجةَ بي في الزواج، ولكن لأخدمك، فأمرها بأخذ الكيس وأن تنصرف.

فلما انْصَرَفتْ قال: خرجتُ من سِجِسْتان بنِيَّة طلب العِلم، ومتى تَزَوَّجت سقط عَني هذا الاسم، وما أوثِرُ على ثواب طلب العلم شيئاً. «تذكرة الحفاظ» (٣/١١١٩).

* صَبْر:

قال ابنُ خَلِّكانِ في ترجمة أبي زكريا التِّبريزي: كان له معرفة تامة بالأدبِ من النحو واللغة وغيرهما، قرأ على أبي العلاء المَعَرِّي وغيره من أهل الأدب، وكان سببُ توجههِ إلى أبي العلاء المَعَرِّي أنه حصلت

له نسخةٌ من كتاب «التهذيب»[1] في اللغـة، تأليف أبي منصور الأزهري، في عدة مجلدات لِطَاف، وأراد تحقيقَ ما فيها وَأَخْذَها من رجلٍ عالمٍ باللغة، فَدُلَّ على المَعَرِّي، فجعل الكتابَ في مِخلاةٍ وَحَمَلَهَا على كتفِهِ، من تبريز إلى المَعَرَّةِ، ولم يكن له ما يستأجر به مـركوباً، فنفـذ العَـرَقُ من ظهـره إلى الكتب التي يحملها، فأثَّر فيها البَلَلُ، وهي بِبَعْضِ الوقوف ببغداد فإذا رآها مَن لا يَعرف صورة الحالِ فيها، ظَنَّ أنها غـريقة، وليس بهـا سوى عرق التبريـزي، «وفيـات الأعيان» (٢/ ٢٣٣).

* شَرَف:

قال الإمام أبو عبدالله الحاكم النيسابوري ذاكراً فضلَ أصحابِ الحديثِ وطُلَّابه:

هم قومٌ سلكوا محجَّة الصالحين، واتبعـوا آثار

(١) وهو مطبوع.

السَّلَف من الماضين، ودمغوا أهل البدع والمخالفين، بسُنن رسول الله صلى الله عليه وعلى آلـه أجمعين. آثروا قَطْعَ المفاوزِ والقِفار[1]، على التَّنَعُّمِ في الدِّمَنِ والأوطار[2]، وتنعَّموا بالبؤس في الأسفار، مع مساكنة أهـل العلم والأخبار، وقنعـوا عند جمـع الأحـاديث والآثار، بوجود الكِسَر والأطمار[3]، جعلوا المساجدَ بيوتَهم، وأساطينها تكاياهم[4]، وبواريهَا[5] فرُشَهم، نبذوا الدنيا بأسرِها وراءَهم، وجعلوا غذاءَهم الكتابة، وسَمَـرَهُمُ المعـارضـة[6]، واستـرواحهم المـذاكـرة،

(١) الصحاري والأراضي الخالية.
(٢) مخالطة الناس؛ ومآربه فيهم.
(٣) الثياب البالية.
(٤) أي: جعلوا سـواري المسجد وأعمـدتـه متكـآتهم التي يسندون ظهورهم إليها.
(٥) هي الحصر والبسط.
(٦) أي مقابلة الكتاب الذي كتبوه بالكتاب الذي سمعوه أو نقلوه منه.

وخَلوقهم المِداد[١]، ونومهم السُّهاد[٢]، وتوسُّدهم الحَصَى.

فالشدائد مع وجود الأسانيد العالية[٣] عندهم رخاءٌ، ووجودُ الرخاء مع فَقْد ما طلبوه عندهم بُؤس! فعقولُهم بلذاذة السُّنَّةِ غامرة، وقلوبُهم بالرضاء في الأحوالِ عامرةٌ، تعلُّمُ السننِ سُرورُهم، ومجالسُ العلم حُبورُهم[٤]، وأهلُ السنةِ قاطبة إخوانهم، وأهل الإلحاد والبِدَع بأسْرِها أعداؤهُم. «معرفة علوم الحديث» (٢ - ٣).

* لَـذَّة:

عن محمد بن سَلَّامٍ الجُمَحي قال: قيل

(١) أي: جعلوا عِطْرَهُمُ الحبرَ الذي يكتبون بواسطته.
(٢) الأرق.
(٣) هي ذات العدد القليل من الرواة، وانظر «التعليقات الأثرية» (٢١).
(٤) هو السرور والنعيم.

للمنصور: هل بقيَ من لَذَّاتِ الدنيا شيءٌ لم تنله؟ قال: بقيت خَصلة: أن أقعد في مِصطبة، وحَوْلي أصحابُ الحديث، يقول المُستملي: مَن ذَكَرْتَ رَحِمَكَ الله؟ - يعني: فأقول: حدثنا فلان، قال: حدثنا فلان عن رسولِ الله ﷺ - قال: فَغَدا[١] عليه النُّدماءُ، وأبناءُ الوزراء بالمحابر والدفاتر، فقال لهم: لستُم بهم[٢]! إنما هم الدَّنِسَةُ ثيابُهم[٣]، المشققةُ أرجلُهم، الطويلةُ شعورُهم، بُرُدُ الآفاق[٤]، ونقلة الحديث. «تاريخ الخلفاء» (ص ١٧٧).

* مُذاكَرة:

قال علي بن الحسن بن شقيق: قمتُ مع عبدالله بن المبارك في ليلةٍ باردةٍ، ليخرجَ من

(١) أي: بَكَّرَ.
(٢) أي: لستم بأصحاب الحديث الذين أعنيهم.
(٣) لكثرة أسفارهم وعدم تفرغهم لغسلها.
(٤) أي: جَوَّبوا البلدان والمسافات البعيدة.

المسجد، فذاكرني عند الباب بحديث وذاكرتُهُ، فما زال يذاكرني حتى جاء المؤذِّنُ فأذَّن الفجرَ. «تذكرة الحفاظ» (١/٢٧٧).

* فَنَـاء:

قـال ابنُ القاسم: كنتُ آتي مـالكـاً غَلَسـاً[١]، فأسأله عن مسألتين، ثلاثة، أربعة، وكنتُ أجدُ منـه في ذلك الوقت انشراحَ صَدْر، فكنتُ آتي كُلَّ سَحَرٍ، فتـوسدتُ مـرَّة عَتَبَتَهُ، فغلبتني عيني فنمتُ، وخَـرَجَ مالكٌ إلى المسجد، ولم أشعر به، فركضتني جاريةٌ سوداءُ له بِرِجْلِهَا، وقالت لي: إن مولاك[٢] قد خرج، ليس يغفلُ كما تغفلُ أنت، اليومَ لـه تسعٌ وأربعـونَ سنةً، قلَّما صَلَّى الصبحَ إلا بوضوء العَتَمة.

قال ابن القاسم: وَأَنَخْتُ ببابِ مالكٍ سبعَ عشرة

(١) هي ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح.

(٢) أي: سيِّدك، هذا العالِم.

سنةً، ما بعتُ فيها ولا اشتريتُ شيئاً، قال: فبينما أنا عنده، إذ أقبلَ حاجُّ مِصر، فإذا شابٌّ متلثمٌ دخل علينا، فَسَلَّم على مالك، فقال: أفيكم ابنُ القاسم؟ فأُشيرَ إليَّ، فأقبلَ يُقَبِّلُ عينيَّ، ووجدتُ منه ريحاً طيبةً، فإذا هي رائحةُ الوَلَدِ، وإذا هو ابني، وكانَ ابنُ القاسمِ تركَ أمَّه حاملاً به[١]، وكانت ابنةَ عَمِّهِ، وقد خَيَّرها عند سفره لطول إقامته، فاختارت البقاءَ. «ترتيب المدارك» (٣/٢٥٠).

* صَيْد:

قالَ ابنُ كثير: وقد كان البخاريُّ يستيقظُ في الليلةِ الواحدةِ من نومه، فيُوقِدُ السِّراجَ، ويكتبُ الفائدةَ تمرُّ بخاطِرِهِ، ثمَّ يطفىءُ سراجَه، ثم يقومُ مرةً أخرى، وأُخرى، حتى كان يتعدَّدُ منه ذلك قريباً من عشرين مَرَّةً. «البداية والنهاية» (١١/٢٥).

(١) أي زوجة ابن القاسم.

*** جُـوع:**

قـال علي بن أحمد الخُوَارِزمي: قـال ابنُ أبي حاتم: كنا بمصر سبعةَ أشهر، لم نأكلْ فيها مَرَقةً، نهارَنا ندورُ على الشيوخِ، وبالليلِ ننسخُ ونقابلُ[1] فأتينا يوماً ـ أنا ورفيقٌ لي ـ شيخاً، فقالوا: هو عليلٌ، فرأيتُ سمكةً أعجبتنا فاشتريناها، فلما صِرنا إلى البيتِ حضر وقتُ مجلسِ بعض الشيوخِ، فمضينا، فلم تـزلِ السمكة ثلاثة أيام، وكادتْ أنْ تُنْتِن، فأكلناها نَيِّئةً لم نتفرغ لِشوْيها، ثم قال: لا يُستطاعُ العلمُ براحة الجسد. «تذكرة الحفاظ» (٣/ ٨٣٠).

*** إخلاص:**

قال ابنُ الجوزيِ واصفاً نفسه في طلبِ العلم: ولقد كنتُ في حلاوةِ طلبي العِلْمَ، ألقى من الشدائدِ ما هو عندي أحلى من العسل، لأجْلِ ما أطلبُ

(١) أي: نراجع ما نسخناه على أصوله.

وأرجو، وكنتُ ـ في زمن الصِّبا ـ آخذُ معي أرغفةً يابسةً، فأخرجُ في طَلَبِ الحديثِ، وأقعدُ على نهر عيسى[1]، فلا أقدِرُ على أكْلِهَا إلا عند المساءِ، فكلما أكلتُ لُقمةً شربتُ عليها، وعَيْنُ هِمَّتي لا ترى إلا لَذَّة تحصيل العِلْمِ، فأثْمَرَ ذلك عندي أني عُرِفتُ بكثرةِ سماعي لحديث رسول الله ﷺ وأحوالِهِ وآدابه، وأحوالِ أصحابه وتابعيهم. «صيد الخاطر» (٢/ ٣٣٠).

*** إخاء:**

قال عمرُ بن حفص الأشقر: إنهم فقدوا البخاريَّ أياماً من كتابةِ الحديثِ بالبصرة، قال: فطلبناه، فوجدناه في بيتٍ وهو عُرْيان، وقد نَفِدَ ما عنده، ولم يبقَ معه شيءٌ، فاجتمعنا وجمعنا له الدراهم حتى اشترينا له ثوباً وكسوناه، ثم اندفع معنا في كتابة الحديث. «تاريخ بغداد» (٢/ ١٣).

(١) في بغداد.

* عُـرْي:

قـال أبو العبـاس الجُرجـاني: كان أبـو إسحاق الشيـرازي لا يملكُ شيئاً من الـدنيا، فَبَلَغ بـه الفقرُ مبلغه، حتى كان لا يجدُ قُوتاً ولا مَلْبَساً! ولقـد كُنَّا نـأتيهِ وهـو ساكنٌ في القـطيعةِ[1]، فيقـومُ لنا نصفَ قومةٍ، ليسَ يعتدِلُ قائماً من العُرْي، كي لا يظهر منه شيءٌ. «طبقات الشافعية الكبرى» (٣/٩٠).

* سَخَـاء:

حكى الخطيب أبو زكريا يحيى بن علي التبريزي اللغـوي، أن أبا الحسن علي بن أحمـد بن علي بن سَلَّك الفَالِيَّ[2] الأديب، كانت لَه نسخةٌ من كتـاب

(١) حيٌ في بغداد أيضاً.

(٢) بالفاء، منسوب إلى فالة، بلدة بخوزستان، وانظر «معجم البلدان» (٤/٢٣٢) ولا يختلطن عليك بأبي عليٍّ القالي، بالقاف، وانظر «تبصير المنتبه» (١١٤٩)، فتنبه.

«الجمهرة»[1] لابن دُرَيْدٍ في غـاية الجـودة، فَدَعَتْـهُ الحاجةُ إلى بَيْعِها، فاشتراها الشريف المرتضى أبـو القاسم المذكور بستين ديناراً، وَتَصَفَّحَها فَوَجَـدَ بها أبياتاً بخطِّ بائعها أبي الحسن الفاليِّ المذكور، وهي:

أَنِسْتُ بهـا عِشـرين حَـوْلاً وبِعْتُهـا
لقـد طالَ وَجْـدي بَعْـدَهـا وَحَنيني
ومـا كـانَ ظَنِّي أنني سَـأَبِيعُـهـا
وَلَـوْ خَلَّدَتْني في السُّجُـون دُيـوني
وَلكِنْ لِضَعْـفٍ وافتـقـارٍ وَصِبْيَـةٍ
صِغَـارٍ عليـهم تَـسْتَهِـلُّ شُؤُونـي
فَقُلْتُ وَلَمْ أملِكْ سَـوَابِقَ عَبْـرَتي
مـقـالَـةَ مَكْـوِيِّ الـفُؤَادِ حَـزِيـنِ
وَقدْ تُخْرِجُ الحاجَاتُ يـا أمَّ مالـكٍ
كـرائِـمَ مِـنْ رَبٍّ بِـهِـنَّ ضَـنـيـنِ

(١) انظر «كشف الظنون» (١/٦٠٥ - ٦٠٦).

فأرجع النسخةَ إليه، وترك له الدنانير، رحمه الله تعالى. «وفيات الأعيان» (١/ ٣٣٧).

* شَــرْط:

قال النَّضْرُ بن شُمَيل: لا يجدُ الرجلُ لذةَ العلمِ حتى يجــوعَ وينسى جُــوعَــه. «تــذكــرة الحفـاظ» (١/ ٣١٤).



- ٣ -

مَعَ طَلَبَةِ العِلْمِ فِي تحصيلهم

معلومٌ أنه يجبُ على كلِّ مسلمٍ طلبُ ما تلزمه معرفتُه مما فَرَضَه الله عليه حَسَبَ ما يقدِرُ عليه من بَذْلِ الجُهْدِ في طلبِ العلم.

وكان المنهاج الصحيح الذي سار عليه السابقون من أهل العلم في تحصيلهم وطلبهم للعلوم، هو ملازمة المشايخ والعلماء والأخذ من أفواههم(١).

ولكنْ، في أيامنا هذه، ذَهَبَ الشيوخُ المُعْتَمدونَ، ولم يَبْقَ إلا قِلَّةٌ منهم، وتلاشَتْ حلقاتُ العلمِ، وفُقِدَتْ مجالسُ التَّفَقُّه في دين الله، فكانَ ماذا!؟.

---

(١) وانظر التعليق المتقدم (ص ٥٧).

ألا يَتَعَلَّمُ المسلمُ دينَـه؟ ألاَ يَتَفَقَّـه المسلمُ في شريعته؟ بلى، فلا بُدَّ للمسلم من هذا كُلِّه.

لذلك، رأيتُ أن أُلْحِقَ في هذه الرِسالـةِ منهاجاً شاملاً لكلِّ ما يَتَّصِلُ بالعلومِ الشرعية مما يحتاجه طالبُ العلمِ المسلمُ، مُقَسَّماً إلى ثلاث مراحل، في كُلِّ مرحلةٍ منها كتابٌ أو أكثرُ، والمراحلُ الثلاث، تشتملُ جميع المستويات، فَمَنْ واظَبَ على هذه المراحلِ كان ـ بإذن الله ـ من طلبةِ العِلْمِ المُتَثَبِّتينَ.

وهذا الذي بَيَّنْتُ هو فعلُ المُتَقدِّمين من أهل العلم، كما بَيَّن الحافظُ ابنُ عبدالبَرِّ في كتابه «جامع بيان العلم» (٢/٢٠٤) فقال: «طلبُ العلمِ درجاتٌ ومناقلُ ورُتَبٌ لا يَنْبَغي تَعدِّيها، ومَن تعداها جملةً فقد تَعَدَّى سبيلَ السَّلَف رحمهم الله، ومَن تَعَدَّى سبيلهم عامداً ضَلَّ، ومَن تعداه مجتهداً زَلَّ». فتأمَّلْ.

١ ـ المَرْحَلَةُ العِلْمِيَّةُ الأُولى

١ ـ العقيدة الإسلامية:

أ ـ عقيدة السلف أصحاب الحديث: أبو عثمان الصابوني.

ب ـ الثلاثة أصول وأدلتها: محمد بن عبدالوهاب.

٢ ـ القرآن الكريم:

أ ـ القرآن الكريم.

ب ـ حقُّ التلاوة: حسني شيخ عثمان.

٣ ـ الحديث النبوي.

أ ـ الأربعون النوويَّة: الإمام النووي.

ب ـ رياضُ الصالحين[1]: الإمام النووي.

---

(١) واحرص في هذا الكتاب وفي سائر الكتب الآتية على اقتناء النسخ المحققة المخرَّجةِ أحاديثها.

٤ ــ الأخلاق والسلوك:

أ ــ الأخلاق والسِّيَر في مداواة النفوس: الإمام ابن حزم الأندلسي.

ب ــ الإخلاص: حسين العوايشة.

٥ ــ السيــرة:

فقه السيرة[١]: محمد الغزالي.

٦ ــ الفقــه:

أ ــ المُنَخّلة النونيّة:

ب ــ فقه السُّنَّة: سيد سابق.

٧ ــ التفسير:

أ ــ مقدمة في أصول التفسير: شيخ الإسلام ابن تيميَّة.

ب ــ تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المَنَّان: عبدالرحمٰن بن ناصر السعدي.

---

(١) وإنّما أوردتُ هذا الكتاب لما في حواشيه مِن تخريجات وتعليقات شيخنا الألباني.

٨ ــ فقه الدعوة:

أ ــ ركائز الدعوة في القرآن: محمد إبراهيم

ب ــ المجتمع الرَّبَّاني: محمد إبراهيم

ج ــ الدعوة إلى الله بين التجمع الحزبي والتعاون الشرعي: علي بن حسن.

٩ ــ النَّحْو والصَّرْف:

مُلَخَّص قواعد اللغة العربية: فؤاد نعمة.

١٠ ــ مُفْردات اللغة:

مختار الصِّحاح: محمد بن أبي بكر الرَّازي.

١١ ــ البِدَع:

أ ــ البدعة وأثرها السَّيِّىء في الأمة:

ب ــ السُّنن والمتبدعات: محمد عبدالسلام الشقيري.

١٢ ــ البلاغة:

البلاغة الواضحة: علي الجارم، مصطفى أمين.

١٣ ــ التاريخ:

التاريخ الإسلامي: محمود شاكر الحرستاني.

١٤ ــ مصطلح الحديث:

أ ــ التعليقات الأثرية على المنظومة البيقونيَّة: علي حسن علي عبدالحميد.

ب ــ تيسير مصطلح الحديث: محمود الطحَّان.

١٥ ــ أصول الفقه:

أ ــ الواضح في أصول الفقه: محمد سليمان الأشقر.

ب ــ تحقيق الوصول إلى علم الأصول: مُراد

ج ــ هدية السلطان إلى مسلمي بلاد اليابان: محمد سلطان المعصومي.

١٦ ــ شرح الأحاديث:

جامع العلوم والحِكَم: ابن رجب الحنبلي.

١٧ ــ مبادىء هدَّامة:

حركات ومذاهب في ميزان الإسلام: فتحي يكن.

١٨ ــ دفاع عن السنة:

أ ــ منزلة السنة في الإسلام: محمد ناصرالدين الألباني.

ب ــ السنة في التشريع الإسلامي: محمد أمان الجامي.

١٩ ــ الأدب:

تحت راية القرآن: مصطفى صادق الرافعي.

٢٠ ــ المِلَل والنِّحَل:

دراسات في الفِرَق: صابر طعيمة.

٢ ـ المَرْحَلَةُ العِلْمِيَّةُ الثَّانِيَةُ

١ ـ العقيدة الإسلامية:

أ ـ الإيمان: محمد نعيم ياسين.

ب ـ العقيدة في الله: عمر سليمان الأشقر.

٢ ـ القرآن الكريم:

أ ـ لمحات في علوم القرآن: محمد الصَّبَّاغ.

ب ـ الصحيح المسند من أسباب النزول: مُقبل بن هادي الوادعي.

٣ ـ الحديث النبوي:

أ ـ صحيح الإمام البخاري.

ب ـ صحيح الإمام مسلم.

ج ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيِّىء في الأمة: محمد ناصرالدين الألباني.

٤ ـ الأخلاق والسُّلوك:

أ ـ الفوائد: ابن قَيِّمِ الجَوْزِيَّة.

ب ـ الوابل الصَّيِّب: ابنُ قَيِّمِ الجَوزيَّة.

ج ـ مختصر منهاج القاصدين[١]: ابن قُدامة المقدسي.

٥ ـ السيرة:

أ ـ السيرة النبوية: الإمام الذَّهبي.

ب ـ نور اليقين في سيرة سيد المرسلين: محمد الخضَري.

٦ ـ الفقه:

الروضة الندية: صِدِّيق حسن خان.

٧ ـ التفسير:

تفسير القرآن العظيم: الإمام ابن كثير الدمشقي.

٨ ـ فقه الدعوة:

أ ـ نحو منهج السَّلَف: علي حسن علي عبدالحميد.

ب ـ سبيل الدعوة الإسلامية: محمد أمين المصري.

---

(١) وقد نُشر بتحقيقي في دار عمّار ـ عمّان، منذ سنوات.

ج ـ فقه الواقع بين النظريّة والتطبيق: علي بن حسن.

٩ ـ **النَّحْو والصَّرف:**

الموجَز في قواعد اللغة العربية: سعيد الأفغاني.

١٠ ـ **مُفردات اللغة:**

المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية.

١١ ـ **البِدَع:**

أ ـ علم أصول البدع: علي بن حسن.

ب ـ الحوادث والبدع: الطُّرْطوشي.

١٢ ـ **البلاغة:**

علوم البلاغة: أحمد مصطفى المَرَاغي.

١٣ ـ **التاريخ:**

أ ـ الشماريخ في علم التاريخ: الإمام السيوطي.

ب ـ دُول الإسلام: الإمام الذَّهبي.

١٤ ـ **مصطلح الحديث:**

أ ـ السنة قبل التدوين: محمد عجاج الخطيب.

ب ـ الباعث الحثيث: أحمد شاكر.

ج ـ الحِطَّة في ذكر الصحاح الستة: صدِّيق حسن خان.

١٥ ـ **أصول الفقه:**

أ ـ تاريخ التشريع الإسلامي: محمد الخضري.

ب ـ الرسالة: الإمام الشافعي.

١٦ ـ **شرح الأحاديث:**

بهجة النفوس «شرح مختصر البخاري»: ابن أبي جَمْرة.

١٧ ـ **مبادىء هدَّامة:**

١٨ ـ **دفاع عن السنة:**

أ ـ السنَّة مفتاح الجنة: خالد محمد علي الحاج.

ب ـ مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة: الإمام السيوطي.

١٩ ـ الأدب:

أدب الكاتب: ابن قُتَيْبة.

٢٠ ـ المِلَل والنِّحَل:

الفَرْق بين الفِرَق: عبدالقاهر البغدادي.

٣ ـ المَرْحَلَةُ العِلْمِيَّةُ الثَّالِثَةُ

١ ـ العقيدة الإسلامية:

أ ـ شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي العِزِّ الحنفي.

ب ـ مختصر العُلُوِّ للعليِّ الغفار: الذهبي/ الألباني.

ج ـ مختصر الصواعق المُرْسَلة على الجَهْمِيَّةِ والمُعَطِّلَةِ: ابن قَيِّم الجَوْزية.

٢ ـ القرآن الكريم:

أ ـ البرهان في علوم القرآن: الزَّركشي.

ب ـ حجة القراءات: ابن زَنْجَلةَ.

٣ ـ الحديث النبوي:

أ ـ جامع الأصول من أحاديث الرسول: ابن الأثير.

ب ـ إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: محمد ناصرالدين الألباني.

٤ ـ الأخلاق والسلوك:

مدَارج السالكين: ابنُ قَيِّم الجَوْزية.

٥ ـ السيـرة:

الرَّوْضُ الأُنُف: السُّهَيْلي.

٦ ـ الفقـه:

أ ـ المُحَلَّى: ابن حَزْم الأندلسي.

ب ـ نيلُ الأوطارِ: الشَّوْكاني.

٧ ـ التفسير:

جـامـع البيـان في تفسـير القـرآن: ابن جـريـر الطبري.

٨ ـ فقه الدعوة:

أ ـ أصول الدَّعوة: عبدالكريم زيدان.

ب ـ طريق الدعـوة إلى الإسـلام: محمـد أمـان الجامي.

ج ـ هي السلفية؛ نسبةً وعقيـدةً ومنهجاً:

٩ ـ النَّحْو والصَّرْف:

جامع الدروس العربية: مصطفى الغلاييني.

١٠ ـ مفردات اللغة:

القاموس لسان العَرَب: ابن منظور الإفريقي.

١١ ـ البِـدَع:

أ ـ الاعتصام: أبو إسحاق الشاطبي.

ب ـ حقيقة البدعة وأحكامها: سعيد الغامدي.

١٢ ـ البلاغة:

أ ـ أسرار البلاغة: عبدالقاهر الجُرجاني.

ب ـ دلائل الإعجاز: عبدالقاهر الجُرجاني.

١٣ ـ التاريخ:

أ ـ المختصر في علم التاريخ[1]: الكافيجي.

ب ـ البداية والنهاية: ابنُ كثير.

---

(١) وهو مطبوع ضمن كتاب «علم التاريخ عند المسلمين» تأليف: فرانز روزنثال، ترجمة صالح أحمد العلي، نشر مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

١٤ ـ مصطلح الحديث:

أ ـ أصول التخريج ودراسة الأسانيد: محمود الطحّان.

ب ـ دراسات في الحديث النبوي: محمد مصطفى الأعظمي.

ج ـ فتح المغيث في شرح ألفية الحديث: السَّخاوي.

د ـ التأصيل لعلم التخريج وقواعد الجرح والتعديل: بكر أبو زيد.

١٥ ـ أصول الفقه:

أ ـ الموافقات: أبو إسحاق الشاطبي.

ب ـ الإحكام في أصول الأحكام: ابن حَزْم الأندلسي.

١٦ ـ شرح الأحاديث:

فتح الباري في شرح صحيح البخاري: حجر العسقلاني.

١٧ ـ مبادىء هَدّامة:

أ ـ موقف الإسلام من نظرية ماركس: د. أحمد العوايشة.

ب ـ الإنسان بين المادية والإسلام: محمد قطب.

١٨ ـ دفاع عن السُّنَّة:

أ ـ السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: مصطفى السباعي.

ب ـ المدخل إلى توثيق السنة: رفعت فوزي.

ج ـ العقلانيُّون أفراخُ المعتزلةِ العصريُّون: علي بن حسن.

١٩ ـ الأدب:

أ ـ تاريخ آداب العرب: مصطفى صادق الرافعي.

ب ـ البيان والتبيين: الجاحظ[1].

---

(١) وهو معتزلي المذهب، فينبغي الحذر من بدعته، مع الانتفاع ببراعته في الأدب.

٢٠ ـ المِلَل والنِّحَل:

الفِصَـل في المِلَل والأهواءِ والنِّحَـل: ابن حزم الأندلسي.



— ٤ —

مَعَ المُتَعَلِّمِينَ في مَجَالِسِهم

بعد أن عرفتَ يا أخي المسلم ـ وفقني الله وإياك لما يحبُّ ويرضى ـ المنهاجَ الصحيحَ لطالب العلم في تحصيلِهِ، ثم أحوالَ العلماء في اجتهادهم وتحمُّلِهم المشاقَّ في سبيلِ الوُصولِ إلى الثِّمارِ المرجوَّةِ من هذا العلمِ، ثم المراحلَ التي ينبغي أن يسير عليها الطالبُ حتى يصِلَ إلى مَرْتبة الفهم السديد، أحببتُ أن أُتَمِّمَ رسالتي هذه بفصلٍ هامٍّ جداً في حياة طالب العلم، ألا وهو «أدب حضور مجالس العلم»[1]، فأقول وبالله التوفيق:

---

(١) من كلام الإمام ابن حزم الأندلسي الذي تقدمت ترجمته (ص ٦٧)، وانظر «مجموعة رسائل ابن حزم» (١/ ٤١١ ـ ٤١٣).

* إذا حضرتَ مجلسَ علم ، فلا يكن حضورُك إلّا حضورَ مستزيدٍ علماً وأجراً، لا حضورَ مستغنٍ بما عندك، طالبَ عثْرة تُشنِّعُها أو غـريبة تُشَيِّعُهـا، فهذه أفعالُ الأرذالِ الذين لا يُفلحون في العلم أبداً.

فإذا حَضَرْتَها على هذه النيَّةِ، فقد حَصَّلتَ خيراً على كلِّ حالٍ، فإنّ لم تحضُرْهـا على هذه النيـة، فجلوسُكَ في منزلِكَ أروح لِبدنِـك، وأكرم لِخُلقِـك وأسلم لِدِينِك.

* فإذا حضرتَها كما ذكرنا، فـالتزِمْ أحـد ثلاثـة أوجُهٍ، لا رابعَ لها، وهي:

أ ـ إمّـا أن تَسْكُتَ سُكوتَ الجهّـالِ، فَتَحْصُلَ على أجر النيَّةِ في المشاهدةِ، وعلى الثناء عَلَيْكَ بقلَّةِ الفُضُولِ، وعلى كرم المُجَالَسَةِ وَمَوَدَّةِ مَنْ تُجالِس.

ب ـ فإنْ لم تَفْعَلْ فاسألْ سؤالَ المُتعلِّم؛ فتحصلَ

على هذِهِ الأربعِ المحاسنِ، وعلى خامسةٍ، وهي: استزادةُ العلمِ.

وصِفـةُ سؤال المُتَعَلِّم: هو أنْ تَسْـأَلَ عن ما لا تَدْري لا عَنْ ما تَدْري، فإنَّ السؤالَ عما تدريه سُخفٌ، وقِلَّةُ عَقْلٍ، وشُغْلٌ لِكَلامِكَ، وقطْعٌ لِزَمَانِكَ بمـا لا فائِدةَ فيه، لا لكَ ولا لِغَيْرِكَ، ورُبَّما أدَّى إلى اكتسابِ العداواتِ، وهو يُعَدُّ عينَ الفُضُول.

فيجب عليك أن لا تكونَ فُضُوليّاً، فـإنَّها صِفَـةُ سوءٍ، فإنْ أجابَكَ الذي سألتَ بمـا فيه كفـايةٌ لـكَ فاقطعِ الكلامَ، فإنْ لَمْ يُجِبْكَ بما فيه كفايةٌ أو أجابَكَ بما لم تَفْهم فَقُلْ لـه: لم أَفْهم، واستزِدْهُ، فـإنْ لَمْ يَزِدْكَ بَياناً، وَسَكَتَ، أَوْ أعادَ عَلَيْكَ الكَلامَ الأوَّلَ، ولا مَزِيدَ، فأمْسِكْ عَنْه وإلاّ حَصَلْتَ على الشَّرِّ والعَدَاوَةِ، وَلَمْ تَحْصُلْ على ما تُريدُه مِنَ الزِّيادَة.

ج ـ والوَجه الثالثُ أن تُراجِعَ مُراجَعَـةَ العَالِم، وَصِفَةُ ذلِكَ أنْ تُعارض جَوابَه بما يَنْقُضُه نَقْضاً بَيِّناً،

فإنْ لَمْ يَكُنْ ذلِكَ عنْدَكَ، وَلَمْ يَكُنْ عندك إلا تكرارُ قولِكَ أو المُعارضَةُ بما لا يرَاهُ خصمُكَ مُعارَضَةً، فأمْسِكْ، لأنَّكَ لا تَحْصُلُ بتكرارِ ذلك على أجْرٍ زائِدٍ ولا على تَعْليمٍ، بَلْ على الغَيْظِ لكَ، ولِخصْمِكَ، والعداوةِ التي رُبَّما أدَّتْ إلى المُضِرَّات.

* وإيَّاكَ وسؤالَ المُعْنِتِ ومراجعةَ المُكابِرِ الذي يطلبُ الغَلَبَةَ بِغَيْرِ عِلْمٍ، فهما خُلُقا سوءٍ دَليلانِ على قِلَّةِ الدِّينِ، وَكَثْرَةِ الفُضُولِ، وَضَعْفِ العَقْلِ وقُوَّةِ السُّخفِ، وَحَسْبُنا الله ونِعْمَ الوَكِيلُ.

الخَاتِمَة

يقول جامِعُ هذا الكتابِ، الفقيرُ إلى عَفْوِ ربِّه الوَهَّاب، عليُّ بنُ حسن بن عليٍّ: قد فرغتُ من ترتيب هذا الكتاب وتهذيبه والتعليق عليه على قدر طاقتي، في مجالِسَ آخرها قرب منتصف ليل يومِ الاثنين في الثالث عشر من شهر ربيعٍ الثاني من العام الرابع بعد الأربع مئة والألف من هجرة النبي عليه الصلاة والسلام، في مدينة الزرقاء من مدن الأرْدُنِّ، فإنْ أصبتُ فمِنَ الله وحدَه، وإن أخطأتُ فمن نفسي ومن الشيطان، وأرجو ممن ينتفعُ بهذا الكتاب أن يذكرني بصالح دعواتِهِ في أحسن أوقاتِهِ، واللّهَ أسألُ أن يغفرَ لي وله ولوالديَّ ولسائر المسلمين، ويجعلني وإياه من الذين يستمعون القول فيتبِعُونَ أحسنه، وهو أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.